وفي تشريح واعدام ما افرزه المنفى من تمركز حول الذات ، والسعي للخلاص الفردي · فالرؤية السوداوية ،.لم تكتف بالصحراء ، فقدمت الخزان مدفنا للباحثين عن خلاص فردي ، دون ان تفتح ولو نافذة صغيرة في افقهم من اجل المستقبل · وهذا العالم « لا يمكن ان يقدم في النهاية لابطاله الا الموت السخيف والمجاني ، ولذلك لم يكن غريبا ان يكون مثل هذا الموت نصيب ابطال رواية رجال في الشمس » (٩) ·

وبحثا عن لا منطقية هذا الموت ، قارن فضل النقيب بين « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ وبين « رجال في الشمس » لغسان كنفاني · واستنتج ان رواية نجيب محفوظ اكثر منطقية ، بينما الفشل غير مفسر وغير مبرر في رواية غسان ، والتي اعتبرها « ليست رواية بالمعنى الفني للكلمة » ، ولكنه استخلص ان هدف غسان ان يقول ، « لا جدوى من الحل الشخصي المغامر لقضية هي اصلا عامة » (١٠) ·

واشترط الياس خوري لفهم الشخصيات الثلاث (ابو قيس ، اسعد ، مروان) ان نفهم البؤس اليومي الذي يعيشه سكان المخيمات ، فهي « شخصيات واقعية تريد الخلاص بسرعة » (١١) ·

وبذلك وضع الياس خوري يده على المعنى السياسي للشخصيات التي « تريد الخلاص بسرعة » ، دون ان يسميه · فهؤلاء هم انماط من البرجوازية الصغيرة، ضيقو الافق ، مغامرون ، عصاميون ، مترددون ، ان مأزقهم من مأزق البرجوازية الصغيرة الطامحة الى حل مأزقها الخاص، دون ان تربطه بمأزقها الوطني العام ، اذا لم يكن على حسابه · انها عبثية الهروب الى بوابات العالم ، دون ان نطرق بوابة الوطن · فالموت مصير حتمي للذين يخرجون من النفي ، حتى يدخلوا فيه مرة اخرى ·

ان عطف الدكتورة رضوى عاشور على ابي قيس ، حوله الى جان ومجني عليه ، نشفق عليه بقدر ما ندينه ونرفضه ·وهذا العطف اخل بمضامين حلم « ابو قيس » ، المال لتعليم قيس ، عرق او عرقين من الزيتون ، بناء منزل » · وذات القضية تتكرر عند ابي الخيزران ، الذي يجسد القيادة التقليدية للفلسطينيين ، قبل النكبة وبعدها ·

فاذا كان هو رمز القيادة التقليدية حقا، فأين الخروج من سقفها ؟ اين ؟

لا الخزان يجيب ! ولا الصحراء قادرة على رد السؤال ·

وكما يقول الدكتور احسان عباس « فالشخصيات المصابة بصدمة لا تتمكن من نسج جسور متينة مع الحياة » (١٢) ·

رواية « ما تبقى لكم »

الرواية ارتداد واضح في مسار رحلة غسان· فبعد الواقعية النقدية في « رجال في الشمس » ، يرتد الى تيار اللاوعي ، كأحد مقومات المدرسة السريالية في الادب الغربي · فالسريالية عند مارسيل بروست وجيمس جويس وفرجينا وولف ، هي حركة احتجاج سلبية على المجتمع البرجوازي ، كمجتمع نمطي الي ، يقتل انسانية الانسان ويحوله الى اله ، الى مغترب · وهي على النطاق العالمي ، ثورة مقلوبة ، اي تيار عدمي يتوجه الى النخبة عبر بحثه عن الاشكال الفنية المتقدمة ، ويضع الشخصيات في أطار مجرد عبر انسحابه الى اللاشعور ، ويحول الحرية الى تحرير للانسان ولسلوكه من سيطرة العقل · ورد الكاتب الانجليزي جون ستراتشي على هذا المنحى بالقول :